الفصل الأول

المرآة في الإسلام

الفصل الاول

المرآة في الإسلام

أيتها المسلمة:

أنت الطهر، وأنت الفضيلة، وأنت السمو، والطهر لا يقتدي بالرّجس والمَهين، والفضيلة لا تقتدي بالرذيلة، والسمو لا يقتدي بالسُّفل، خابوا وخسروا وتعسوا وانتكسوا.

أغيظيهم وقولي بلسان حالك ومقالك:

دعهم يعضوا على صُمِّ الحصى كمداً

من مات من غيظه منهـــم كفن

إن آمالنا في المسلمة أن تكون أقوى من التحديات، تعتز بدينها، تتمسك بعقيدتها ومبادئها وأخلاقها، بل وتدعو إليها، فذلك من دينها.

إن الأمة تنتظر منكِ الكثير والكثير.

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه، فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله، فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع، والرعاية، وإحسان التربية، وهي في ذلك الوقت قرة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها.

وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة، التي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة.

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ، فتكون في بيت الزوج بأعز جوار، وأمنع ذمار، وواجب على زوجها إكرامها، والإحسان إليها، وكف الأذى عنها.

وإذا كانت أماً كان برُّ ها مقروناً بحق الله تعالى وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله، والفساد في الأرض.

وإذا كانت أختاً فهي التي أُمر المسلم بصلتها، وإكرامها، والغيرة عليها.

وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في البر والصلة.

وإذا كانت جدة، أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولاد ها، وأحفاد ها، وجميع أقاربها، فلا يكاد يرد لها طلب، ولا يُسَفَّه لها رأي.

وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدنيها قرابة أو جوار كان لها حق الإسلام العام من كف الأذى، وغض البصر ونحو ذلك.

وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية، مما جعل للمرأة قيمة واعتباراً لا يوجد لها عند المجتمعات غير المسلمة.

ثم إن للمرأة في الإسلام حق التملك، والإجارة، والبيع، والشراء، وسائر العقود، ولها حق التعلم، والتعليم، بما لا يخالف دينها، بل إن من العلم ما هو فرض علم يأثم تاركه ذكراً كان أم أنثى.

بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كلاً منهما على نحو ما هو مفصل في مواضعه.

ومن إكرام الإسلام للمرأة أنْ أمَرَها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادرة، والأيدي الطائشة، فأمرها

بالحجاب والستر، والبعد عن التبرج، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدي إلى فتنتها.

ومن إكرام الإسلام لها: أن أمر الزوج بالإنفاق عليها، وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها، والإساءة إليها.

بل ومن المحاسن – أيضاً – أن أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق، ولم يستطيعا العيش عيشة سعيدة، فأباح للزوج طلاقها بعد أن تخفق جميع محاولات الإصلاح، وحين تصبح حياتهما جحيماً لا يطاق.

وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذ كان ظالماً لها، سيئاً في معاشرتها، فلها أن تفارقه على عوض تتفق مع الزوج فيه، فتدفع له شيئاً من المال، أو تصطلح معه على شيء معين ثم تفارقه.

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أن نهى الزوج أن يضرب زوجته بلا مسوغ، وجعل لها الحق الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها، أو أن ترفع للحاكم أمرها، لأنها إنسان مكرم داخل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء ٧٠)

وليس حسن المعاشرة أمراً اختيارياً متروكاً للزوج، إن شاء فعله وإن شاء تركه، بل هو تكليف واجب. قال النبي (ﷺ): **(لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يضاجعها)** [1]

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٨)، ومسلم (٢٨٥٥) من حديث عبدالله بن زمعة (رضي الله عنه)

فهذا الحديث من أبلغ ما يقال في تشنيع ضرب النساء، إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته، و هي كنفسه، مهينة كمهانة عبده بحيث يضربها بسوطه، مع أنه يعلم أنه لا بد له من الاجتماع والاتصال الخاص بها.

ولا يفهم مما مضى الاعتراض على مشروعية ضرب الزوجة بضوابطه، ولا يعني أن الضرب مذموم بكل حال، لا، ليس الأمر كذلك، فلا يطعن في مشروعية الضرب إلا من جهل هداية الدين، وحكمة تشريعاته من أعداء الإسلام ومطاياهم ممن نبتوا من حقل الغرب، ورضعوا من لبانه، ونشؤوا في ظله.

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أن أنقذها من أيدي الذين يزدرون مكانها، وتأخذهم الجفوة في معاشرتها، فقرر لها من الحقوق ما يكفل راحتها، وينبه على رفعة منزلتها، ثم جعل للرجل حق رعايتها، وإقامة سياج بينها و بين ما يخدش كرامتها.

ومن الشاهد على هذا قول له تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ **(البقرة ٢٢٨)** فجعلت الآية للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل.

نداء من القلب:

أختاه، أيتها الدرة المصونة والجوهرة الغالية:

أرعي لي سمعك وقلبك، فإن لي إليك حديثاً بعد أن اكتوى قلبي غيرة عليك ومحبة للخير لك.

كيف وأنا أرى بأم عيني كيف أغارت مخططات الأعداء وسهامهم

المسمومة على عزتك وشموخك ودينك.وحتى صرت ألعوبة في أيدي حثالة القوم وسقط المتاع من أرباب الأزياء والموضة، التي صنعها لك عباد الصليب وأحفاد القردة والخنازير، وروج لها تاجرٌ أعمى القلب قدم حب المال على حب الله ورسوله.

أجل، فما كان والله يخطر ببال أحد أنك تسقطين في شراكهم، فقد كنت أحسب أنك في مأمن من ذلك كله وكنت أرى لك رأياً وإيماناً.

كيف وقد أصبحت وأصبح حجابك وأمسى كالسفينة المشرفة على الغرق، والتي يتقاذفها الموج ويأتيها الموت من كل مكان، أو كالذي تهوي به الريح في مكان سحيق؟ أرأيت كيف خمارك ومعه هذه الطرحة المزركشة، فقد صار لثاماً ولعبة في يدك يكشف لذاك ويسدل لهذا، تفعلين ذلك وكأن الله لا يراك؟

أما تعلمين أنه مطلّع على خطرات نفسك التي بين جنبيك: **(وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ)**.

والله أمركِ بالستر على جميع الرجال غير المحارم دون استثناء، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لمّا نزلت **(وليضربن بخمرهن على جيوبهن)** شققن مُرُطهن فاختمرن بها)[1]

وعن أم علقمة قالت: (رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة، رضي الله عنها، وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها فشقته عائشة عليها وقالت:(أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها))

أفرأيت لو أبصرتك عائشة، رضي الله عنها، وأنت على هذا النقاب

(١) وقال الحافظ بن حجر كما في (فتح الباري) (٤٩٠/٨) : (قولها : (فاختمرن) أي : غطين وجوههن

الفتان، وهذه العيون التي لا يقر لها قرار، وانت على هذه الحالة التي لا ترضي الله ماذا تقول أم المؤمنين وماذا تفعل؟ وقد أجمع أهل العلم على وجوب ستر الوجه عند خشية الفتنة، وإن لم يكن هذا زمان الفتن فأي زمان؟

ثم أذهم أسقطوا عباءتك عن علياء رأسك، وألبسوك ثوباً أشبه شيء بأثواب الرجال، وسموه كذباً وزوراً (عباءة)، نعتوها بالعمانية تارة وتارة بالفرنسية وبالمغربية تارة أخرى، لا يلوون على شيء طالما أنها تحقق لهم هدفهم الأكبر وهو إسقاط حجابك بالكلية، وإلا فمنذ متى سمعت أن فرنسا تعرف الحجاب وتصدره وتدعو إليه؟ إلا وأنها سميت بالفرنسية لأنها ليست عباءة أصلاً.

ثم بعد ذلك جاؤوك بالطامة، ألا وهي العباءة الأمريكية، وهي باختصار فستان على شكل بنطال كالذي تلبسه الكوافر، فانظري كيف يتدرجون بك إلى الهاوية خطوة خطوة، وهكذا خطوات الشيطان، فأي سخرية بالدين وبشعائر الإسلام هذه؟.

قال الله عز وجل في شأن المنافقين والمستهزئين بالدين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ **(التوبة ٦٥-٦٦).**

أما الجلباب في الاصطلاح الشرعي فليس بثوب ذا أكمام واكتاف وخاصرة، وإنما هو ملاءة تلتحف بها المرأة فوق ثيابها تستر بها جميع بدنها وثيابها وزينتها، وهاك الدليل القاطع على هذا، وذلك عندما أمر رسول الله ﷺ نساء المؤمنين بأن يشهدن صلاة العيد، فعن أم عطية، رضي الله عنها، قالت:

قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: **(لتلبسها أختها من جلبابها)**

فلو كان الجلباب ثوباً ذا أكمام وأكتاف لاستحال أن يأمر النبي(ﷺ) أم عطية أو غيرها من الصحابيات الجليلات أن تُلبس أختها منه، ولكان ذلك من التكليف بما لا يطاق.

أما وإن هذا الثوب الذي ترتدينه لم يبق فيه من الجلباب الشرعي والعباءة، سور الأحرف التي سرقوها من تلك الأولى العالية الشامخة، تلك التي طالما رفعتها على رأسك تاجاً لعزك وعنواناً لمجدك وفخراً لك بين الأمم على مر التاريخ.

أختاه.. أنت تعلمين أن هذا الثوب أو الفستان الأسود الذي كنت ترفضينه من قبل بشدة قبل أن يسموه لك عباءة، تعلمين- دون ريب- أنه ذريعة محققة لإسقاط الحجاب كليةً، وهو بذلك محرم من باب سد الذرائع، فكل ما أفضى إلى حرام فهو حرام، كما هو معلوم عند أهل العلم سلفاً وخلفاً، وكما أفتى بحرمته العلماء من هذا الوجه، ومن وجوه أخرى، كإظهاره لتفاصيل جسد المرأة ومشابهته لطريقة لبس الرجال أرديتهم، ولمخالفته لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ وكما هو محقق عند أهل اللغة أن استعمال الحرف (على) وهو من حروف المعاني، يفيد العلو، وأعلى الجسد هو الرأس وليس الكتف.

تعلمين أنه ذريعة أكيدة لأهدافهم الدنيئة، وقد رأيت بنفسك كيف وسعوا أكمامه، حتى ما إذا جئت لإتمام الصفقة الخاسرة، وما إن رفعت يدك لإعطاء ذلك البائع الجشع نقوداً ثمناً باهظاً لإنقاص سترك، حتى انكشفت ذراعك إلى

المرفق، وربما زركشوها وربما... وربما... ورأيت كيف أخذت يد التخريب الآثمة لتضييق ذلك الثوب، وتشريحه من هنا وهناك وتزيينه، حتى صار بعض ما يلبس في البيوت أقل فتنة مما تلبسين في السوق، ثم تحسبين أنك على شيء وأن لك حجة.

أختي الغالية.. أو ما سمعت ذلك المنصر الذي وقف في أحد مجامعهم في بلاد الغرب، ثم قال: تظنون أننا لم نفعل شيئاً في جزيرة العرب ولم نحقق نجاحاً؟؟ ثم صمت قليلاً، وقال: نعم، نحن لم نستطع أن ندخل رجالهم في النصرانية، ولكننا نجحنا في أن نلبس نساءهم لباس راهبات الكنيسة.

وأن شئت فقارني بين لباس راهبات النصارى وبين هذه العباءات المستحدثة، ستعلمين حجم المؤامرة التي يدبرها أعداء الفضيلة وحزب الشيطان.. ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون..

فانظري إلى من يصمم حجابك الذي تدينين الله به ومن يتلاعب به ويخطط له، حتى صار أثراً بعد عين أو كاد، إنهن الساقطات من نصرانيات أوروبا ويعينهن على ذلك أناس من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، ثم جئت أنت لتكونين شماعتهم المتنقلة التي يعلقون عليها بضاعتهم المسمومة شئت أم أبيتِ، وتعطينهم مقابل ذلك مالاً وفيراً خسارة في الدنيا وخسارة في الدين، فعياذاً بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى، ومن خاتمة السوء.

من أين هذا الزي؟

أختاه ولقد قال ربي وربك: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ وأقسم لك بالله أني لا أكاد أصدق أن يشتري هذه المزق القماشية القصيرة والضيقة والشفافة، وهذه

البناطيل الفاضحة التي علقوها على جدرانهم وتماثيلهم وأسموها ملابس، وقد أعمى بصائرهم الجشع عن كل فضيلة، أقسم لك بالله ثانيةً أنني لا أكاد أصدق أن من يشتري هذه الزينة المحرمة، وهذا السفور البواح، هن أنت وأترابك من المؤمنات العفيفات الاتي حملن في قلوبهن لا إله إلا الله، وخفقت في صدورهن آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ.

أحقاً أنت حفيدة خديجة وفاطمة وعائشة وأسماء وأم سليم وأم عمارة، وذلك الطراز الأول من النساء اللاتي يتشرف بذكر أسمائهن المداد ويتضوع بشذا عرفهن أجواء بيوت الطهر والإيمان؟

وها هي أم المؤمنين عائشة أعلم نساء هذه الأمة، رضي الله عنها، لا تفرّط من ذلك بشيء، بل وهي في حال الإحرام رغم أن له حكماً خاصاً عُلمَ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: **" لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين "** ألا إن حكم الحجاب بحضرة الرجال الأجانب قدم عند تعارضهما، ويقر ذلك كله رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، قالت عائشة، رضي الله عنها: (كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه).

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: قوله في حديث ابن عمر: (لا تنتقب المرأة المحرمة) وذلك لأن سترها وجهها بالبرقع فرضً إلا في الحج، فإنها ترخي شيئاً من خمارها على وجهها غير لاصق به، وتعرض عن الرجال ويعرضون عنها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على حديث ابن عمر فيما يتعلق

بالنقاب والقفازين: (وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن).

وقال ﷺ: **" المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في قعر بيتها "**.

أما إذا كنت تظنين – لا قدر الله – إن أمر الستر والحجاب من القشور – كما يزعم بعض المغرضين والمغفلين -، وكما نسمع هنا وهناك، فإنه من نافلة القول أن أقول لك: أن دين الله عز وجل وشريعته المطهرة أعظم وأجل من أن يكون بها قشور.

قد أضيف إلى قولي هذا ما قاله الكاتب بيون فولستوي: في المرآة وتبرجها وحفظ كرامتها " إن التبرج لا يحترم الفتاة بل على النقيض يتفرقها طلاب الزواج ويقصيهم عنها ويجعل البعض كالليونة في سلوكها أما إذا كانت زوجة فإن أساسها لماذا تريد أن تتبرج لقد تزوجت وانتهى الأمر فعليها أن تكون بسيطة في مظهرها و إلا ولدت الشكوك في قلب زوجها [1]

هذا ما قاله الغربيون في نسائهم فماذا نقول عن الإسلام أهل العفة يا عزيزتي المسلمة....؟

وأترك هذه المعاني الراقية تختزل أسفاراً من المروءة والمجد، يهش لها وجه الشمس وتبتسم لها نجوم السماء، أتركها دون تعليق وأكتفي بها ربما يعتمل في قلبك ويذرف من عينك.

فيا من تركب مع السائق مسلماً كان أم كافراً، تذكري دائماً هذه المعاني، وتذكري ذلك وأنت تدخلين على الطبيب دون محرم!!، وتذكري ذلك وأنت

---

(١) أحسن فتاة ، عبد الحميد محمد الدرويش ص ٤٤ ومنابع النور – ط ٢ / ٢٠٠٩ .

تتحدثين مع البائع بطريقة غير لائقة، حتى ليكاد المرء ليجزم أنه أخوك أو خالك أو عمك.

فإذا كنت تريدين السلامة لدينك والطهارة لقلبك – واحسبك كذلك – وذهبت إلى السوق لحاجة فاذهبي مع ذي محرم، واتركي له أمر محادثة الرجال والاختلاط بهم، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

وقد علمنا الله تعالى هذا الأدب، حيث خاطب أفضل الرجال وأفضل النساء بقوله ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ أخيتي، افتحي قلبك أزيلي عنك هذه الغشاوة، فإنه يوشك أن ينفلت الخطام وأن يتناثر العقد.

أخيتي، إن التبرج من كبار الذنوب، ويترتب عليه دخول النار والحرمان من الجنة وناهيك بذلك.

هل بقي عندك بعد هذا كله حيرة أو تردد في الإقلاع والبراءة الكاملة من هذه الكبيرة؟

وهل لا زلت تقدمين رجلاً وتؤخرين أخرى نحو الاستقامة وسلوك المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك؟

أخيتي، حجابك، فإنه حجابك من النار.

أختاه، وأنت تتراجعين إلى الوراء وتنزلين عن مكانك العالي، ألم يخطر لك ببال أي امرأة أنت؟ وأي دين تنتسبين إليه؟

آن لك أن تتجللي بحجابك الكامل لا الحجاب المزوق المزيف، وآن لك أن تعيدي حياءك ويترك وعباءتك الاولى على رأسك سيفاً في وجه الباطل الذي عربد وكاد أن يلقي بك في شراك العدو لا أن الله سلم.

لقد آن لك أن تعلمي أن صرح هذا الباطل الذي أغراك مظهره، والذي

أمسى ينتفخ حتى صار كالبالون الكبير، يوشك أن ينفجر لأدنى شوكة تصيبه من هنا أو هناك.

وإلا فأنت تقرأين قول الله عز وجل في محكم التنزيل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ لك أن تقطعي تلك اليد الآثمة التي تسللت وامتدت إلى خمارك وجلبابك، وقطّعت أثوابك يمنة ويسرة، ولم تبقِ عليك إلا لباساً يظهر أكثر مما يستر.

فيا شقيقة الرجال ويا مصنع الابطال، كوني صخرة صلبة في جدار الامة، ولا تكوني سهماً في كنانة الأعداء يشدخون به هامة الفضيلة وعالية الكرامة!! وإياك إياك أن يؤتى الإسلام من قبلك!

أخوفك بالله الذي يعلم السر وأخفى أن تظني أن ما تفعلينه من إنقاص حجابك وحيائك شيئاً فشيئاً، يوماً بعد يوم، ذكاءً أو فطنة ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾ وإني أعيذك بالله من ذلك وأذكرك أن ذلك ظلم لنفسك أولاً وقبل كل شيء، ثم إنه ظلم لأهلك ومجتمعك وأمتك وإعانة على الفساد والإفساد.

واعلمي أن الله عز وجل يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، كما جاء في الحديث، ولا أخالك تقدمين على مغامرة خطيرة كهذه، خصمك فيها الله جل جلاله الجبار المنتقم وفي الحديث الصحيح: **(إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن غيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله عليه)**

وإن من أخطر تبعات التبرج والسفور أنه سنّة في الإسلام سيئة، عليم من وزرها ووزر من تبعك فيها إلى يوم القيامة، من النساء اللاتي لا زلن يترددن في منزلة بين المنزلتين، ومن صغيرات اليوم، أمهات الغد اللاتي

صرن ينظرن كيف تفعلين فيقلدن- دون أن ينقص من أوزارهن شيئاً- وقد جاء في القرآن المجيد ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾.

ألا وإن كل ما هو محرم على البالغة، لا ينبغي أن تنشأ عليه الصبية، ولا تقولي: إنها صغيرة فإنها غداً كبيرة.

يـــا درة حُفظـــت بـــالأمس غاليـــة واليـــوم يبغونهـــا للهـــو والطـــربِ

يـــا حـــرة قـــد أرادوا جعلهـــا أمـــة غربيـــة العقـــل لكـــن اســـمها عربـــي

هـل يسـتوي مَـن رسـول الله قائـده دومـــاً وآخـــر هاديـــه أبـــو لهـــبِ

وأيـن مـن كانـت الزهـراء أسـوتها ممـــن تقفـــت خطـــى حمالـــة الحطـــب

أختاه لست ببنت لا جذور لها ولســـت مقطوعـــة مجهولـــة النســـب

أنت ابنـة العرب والإسلام عشت بـــه فـــي حضـــن أطهـــر أمٍ مـــن أعـــز أبِ

فـلا تبـالي بمـا يلقـون مـن شـبهٍ وعنـــدك العقـــل إن تدعيـــه يســـتجبِ

سليه من انـا مـا أهلـي لمـن نسبي للغـــرب أم أنـــا للإســـلام والعـــربِ

لمـن ولائـي لمـن حبـي لمـن عملـي لله أم لـــــدعاة الإثـــــم والكـــــذبِ

من أقوال الغربيون في المرآة المسلمة والإسلام:

قال مارسيل بوازار: " أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد ﷺ أنها حامية هي حقوق المرآة التي لا تكل.

وقال أيضاً " إن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء ويعاملهم بطريقة شبه متساوية وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة هي الحماية ويقدم التشريع للمرآة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق ويبدي اهتماما شديداً بضمانها فالقرآن والسنة يحضان على معاملة المرآة بعدل ورفق وعطف " (١)

وقال لويس سيديو: " إن القرآن وهو دستور المسلمين رفع شأن المرآة بدلاً من خفضه فجعل حصة البنت في الميراث تعدل نصف حصة أخيها مع أن البنات كن لا يرثن في زمن الجاهلية..... وهو وإن جعل الرجال قوامين على النساء بين أن للمرآة حق الرعاية والحماية على زوجها وأراد ألا تكون إلايامى من ميراث رب الأسرة فأوجب أن يأخذن ما يحتجن إليه مدة سنة وأن يقبضن مهورهن وأن ينلن نصيباً من أموال المتوفى " (٢) .

وقال وول ديوارنت صاحب قصة الحضارة: " رفع الإسلام من مقام المرآة في بلاد العرب. وقضى على عادة وأد البنات وسوى بين الرجل والمرآة في الإجراءات القضائية والاستقلال المادي وجعل من حقها أن تشتغل بكل

---

(١) عن كتاب أحسن فتاة : ص ٣٩ .
(٢) نفس المصدر : ص ٤٠ .

عمل حلال وأن، تحتفظ بمالها ومكاسبها وأن ترث وتتصرف في مالها كما تشاء وقضى على ما أعتاده العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصيب الذكر ومنع زواجهن بغير إرادتهن " (١)

وقال إميل درمنغم: " من المزاعم الباطلة أن يقال أن المرآة في الإسلام قد جردت من نفوذها زوجة وأماً، كما تذمها النصرانية لعدها المرآة مصدر الذنوب والآثام ولعنها إياها، فعلى الإنسان أن يطوف في الشرق ليرى الأدب المنزلي في قوي متين وأن المرآة فيه لا تحسد بحكم الضرورة نساءنا ذوات الثياب القصيرة والأذرع العارية ولا تحسد عاملاتنا في المصانع وعجائزنا ولم يكن العالم الإسلامي ليجهل الحب المنزلي والحب الروحي ولا يجهل الإسلام ما أخذناه عنه من الفروسية المثالية والحب العذري " (٢)

وقال ليون تولستوي: " إن التبرج لا يخدمها إذا كانت فتاة بل على النقيض من ذلك ينفر منها طلاب الزواج ويقصيهم عنها ويجعل البعض منهم يرتابون في سلوكها أما إذا كانت زوجة فأنا أسألها: لمن تريد أن تتبرج؟ لقد تزوجت وانتهى الأمر فعليها أن تكون بسيطة في مظهرها و إلا ولدت الشكوك في قلب زوجها)(٣)

أي امرأة أنت بين النساء تحمل القرآن والسنة.

رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

أبعد أن توَّجك الله بأبوين مؤمنين صالحين ورضعت لبانة الإيمان منذ

---

(١) نفس المصدر ص ٤١ .
(٢) أحسن فتاة المؤلف : عبد الحميد محمد الدرويش
(٣) نفس المصدر ص ٤٤ .

الصغر، ونشئت في بيت مسلم ملؤه الطهر، وتعلق قلبك كلمة التوحيد ومعنى الإخلاص، تكونين كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً؟

أيجوز لك بعد تلك الكرامة أن تكوني تبعاً لمخلفات الغرب الفكرية والخلقية والاجتماعية؟.

ألا تعلمين أن المرأة الغربية عندما تراك كَلِفة تقليدها والسير على خطاها تنظر إليك باحتقار وازدراء شديدين كما عبر عن ذلك بعضهن؟

أيجوز لك هذا التهافت وهذا السقوط المريع؟

ارفعي رأسك اعتزازاً بدينك الحق، واشمخي بأنفك شموخ الإيمان لا كبراً ولا بطراً.

واختاري من الطريقين ما هو أليق بتكريم الله لك، واسلكي أحسن النجدين فكوني من الشاكرين لا من الكافرين.

قولي بلسان الحال والمقال:

أنـــا مســـلم لا البغـــي يعرفنـــي كـــــلا ولا الإخـــــلاد والكســـــلُ

قلبـــي إلـــى الـــرحمن مبتهـــلٌ وإلـــى شـــموخي يطمـــح الجبـــلُ

الزوجة الصالحة المسلمة:

الزوجة الصالحة لا تكذب أبداً، فإن قالت صدقت، صمتها حكمة، وقولها حجة، ورأيها معمول به، هي مرجع الرأي في أسرتها، ومذبع الحكمة إذا

استشيرت، إذا حكمت لا هزل في مجلسها، ولا لغو بين يديها، الصغير موضع عطفها وإرشادها، والكبير موضع احترامها.

الزوجة الصالحة تقدر موقف بيتها المالي، ثم تتصرف بحكمة فلا ترهق الزوج بالمصروفات والمطلوبات، ولا تقتر حتى تصل إلى درجة البخل والشح، توفر من مصروفها الشهري للأزمات.

الزوجة الصالحة تعلم أن زوجها يجمع المال بالجهد والعرق ليوفر لها حياة كريمة، فتضع هذا في اعتبارها وتربي عليه أبنائها، وتُشعر زوجها بالامتنان والتقدير وتخفف عنه عناء العمل، فترعى شؤون بيتها وتنتبه لمطالب زوجها وترعى أبنائها، حتى يصبح البيت واحة للراحة والهدوء والطمأنينة، وعلى الرجل أن يكون صبوراً في معاملة أهله، حنوناً في معالجة مشكلات أبنائه وزوجه، كريماً في التجاوز عن الأخطاء الصغيرة، رحيماً في سلوكه، جواداً في عطائه، صديقاً لزوجه وأبنائه.

الزوجة الصالحة تدفع زوجها نحو الخير دائماً، تفكر كثيراً قبل أن تخطو خطوة، حتى تحسن الخطو الصحيح، فيسعد بها زوجها، ويسعد بها زوجها وأبناؤها، وجيرانها وأقاربها وأقارب زوجها، ويهنأ بها مجتمعها، وهكذا نجد البيت المسلم واحة غنّاء، وحديقة فيحاء تستظل بها أسرة جميلة، بفضل وحرص الزوجة الصالحة، وهي الزوجة التي تعي حق زوجها عليها، وتؤديه بحب، وعن طيب خاطر منها.

فعن عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ، قال: (ما هذا يا معاذ؟) قال: أتيت الشام فوقفتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فرددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ: **(فلا تفعلوا**

فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها، وهي على قتب لم تمنعه)[1]والقتب: ظهر البعير.

في هذه الوصية الكريمة يبين النبي ﷺ عظم حق الزوج على زوجته وكيف أنه يعد نوعاً من التعبد الذي تتقرب به المرأة إلى ربها، وقد ورد في تعظيم حق الزوج على زوجته أخبار كثيرة قال ﷺ: **(إذا صلت المرأة خمسها، وحفظت فرجها، وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت)**[2]

وقال ﷺ: **(أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة)**[3]

ومن جملة حقوق الزوج على زوجته:

منها: طاعته في غير المعصية، فأكثر ما يدخل المرأة النار عصيانها لزوجها وكفرانها إحسانه إليها، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **(اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط)**[4].

الحق الثاني: ألا تصوم نافلة إلا بإذنه، قال رسول الله ﷺ: **(لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه)**[5]

---

(١) صحيح : قال الحافظ شمس الدين بن القيمو رحمه الله، في (الحاشية) (١٢٥/٦) : (وقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال : **(لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)** قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح، قال : (وفي الباب عن معاذ بن جبل وسراقة بن مالك وعائشة وابن عباس وعبد الله بن أبي أوفى وطلق بن علي وأم سلمة وأنس وابن عمر)) فهذه أحد عشر حديثاً

(٢) صحيح : ورد عن جملة من الصحابة، وفي ثبوته بحث، انظر : (علل الدارقطني) (٣٠٣/٤)، و (كشف الخفا)(٩٦/١)، و(الترغيب والترهيب) (١٩٤/٣)

(٣) حسن : وفي إثبات ذلك أيضاً بحث، ينظر في (ذيل الاوطار) (٣٦٠/٦-٣٦١) و (علل الترمذي) (ص٣٦٤).

(٤) أخرجه البخاري(٢٩).

(٥) رواه البخاري (٤٨٩٩) من حديث ابي هريرة، رضي الله عنه.

ومعنى شاهد، أي: حاضر غير غائب.

الحق الثالث: ألا تخرج من بيته إلا بإذنه.

الحق الرابع: أن تكف لسانها عنه فلا تؤذيه بلسانها فإن أبغض الناس عند الله الفاحش البذيء فيجب على الزوجة أن تظهر الثناء على زوجها بدلاً من أن تظهر السيئ من القول.

الحق الخامس: أن تتجمل المرأة لزوجها وأن تتزين له بحث لا يقع نظره عليها إلا وهي في أحسن حالاتها بهاءً، يجد في عينيها نظرات العطف والتشجيع لما يبذل من عمل وبذلك تستطيع المرأة أن تشجع زوجها وتجعله يتغلب على متاعب العمل التي يلاقيها.

قال العلماء: وتزين المرأة لزوجها يعد نوعاً من أنواع التعبد لله تعالى، فأحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تدخله على مسلم، ولا ريب أن تزين المرأة لزوجها يدخل السرور عليه ويعينه على العفاف.

الحق السادس: ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما، وهكذا كانت عادات النساء من السلف الصالح، فكانت المرأة تقف لزوجها على الباب في الصباح وهو متوجه إلى عمله فتقول له: إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

الحق السابع: أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: **(إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب)**[1].

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم(١٠٢٤) .

ومن الآداب للزوجة أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها وتجعل كل هدفها طاعة الله عزَّ وجلَّ ثم طاعة زوجها.

وكان سخط الله وغضبه مرتبطاً بسخط الزوج على زوجته إذا كان بحق، فقال عليه الصلاة والسلام: **(والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها)**[1].

بل أن الملائكة تلعن من باتت وزوجها غاضب عليها، لقوله عليه الصلاة والسلام: **(إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)**[2]

فلو قبّلت المرأة يد زوجها لكان ذلك أداء لبعض حقه، ثم أنه من حسن المعاشرة.

وحق الزوج على زوجته عظيم، ولا شك أنه أعظم من حق الشيخ على تلاميذه، وقد عظّم الإسلام حق الزوج على زوجته، وهنا إشارة وزيادة:

ولو قبّل الزوج يد زوجته لم يكن فيه ذَمَّ محذور و هو من حسن العشرة أيضاً.

(١) أخرجه مسلم (١٤٣٦) من حديث أبو هريرة ، رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٦٥)، ومسلم (١٤٣٦) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه